الكلمة الافتتاحية

وسيم الكردي

صباح الخير . . . مع خير السماء على هذه الأرض في هذا الصباح . . . هذه الأرض التي أهدت البشرية قبل أربعة آلاف عام الأبجدية، وبإمكانها أن تهدي البشرية أبجدية أخرى، ولمّ لا؟!

***

اسمحوا لي أن أرحب بكم جميعاً واحداً واحداً وواحدة واحدة . . . باسم كل العاملين والعاملات في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي/ مؤسسة عبد المحسن القطان.

***

في صباح شتوي بامتياز، نعقد مؤتمرنا الثالث، ويسعدنا أن تكونوا جميعاً بيننا . . . واثقين بأن هذا اللقاء الذي يجمعنا سيكون شتوياً بامتياز أيضاً، مليئاً بالدفء، ندياً، راوياً، مزهراً.

***

لقد ضفرنا مع المعلمين والمعلمات حكاية عمل مشتركة منذ سنوات، عمل بدأب النمل، وعرفنا كما لم نعرف من قبل أن على هذه الأرض معلمين ومعلمات، على الرغم من كل ما يقال عن مهنة التعليم وظروفها الصعبة والقاسية، يجترحون طاقة الفعل من داخل هذه الظروف نفسها، ينسجون خبرتهم ويشتغلون على تطويرها، إن شغفهم لمدهش، وطاقتهم لمثيرة . . . إنهم سيمنحوننا قبساً منها في هذا المؤتمر، قبساً يتيح لهم أن يروا قصتهم مع أطفالهم وطلبتهم، قبساً يتيح لنا محاورتهم . . . والأهم من ذلك أنهم سيعبرون بتجربتهم هذه إلى تجربة أخرى، ولن ينزلوا في منازل، بل هي رحلة دائبة، رحلة فيها من الكشف والمغامرة والاختبار الكثير، قبساً يمنحنا إمكانية أن نستلهم منه كي نعبر نحن أيضاً في رحلة أخرى تضفر قصة أخرى وأخرى، إلى أن ننسج ملحمة تمكننا من ابتداع أبجدية جديدة، وسنهديها للعالم مرة أخرى، ولم لا؟!

***

يقول المعلم: « . . . هذا كتاب لم يكتب ليعلِّم بل ليوقظ . . . »، ربما أن إحدى غايات هذا المؤتمر التي نتطلع إليها أن يوقظ ويلهم. تقول طالبة شاركت في مشروع بحثي مع باحثين في المركز: «لقد أعاد المشروع ثقتي بنفسي، وعرفت أنني قادرة على عمل شيء في هذه الحياة، كما أن المشروع حببني في بلدي والمكان الذي نشأت فيه». وتقول أخرى: «لقد علمني الصبر».

***

يقول معلم: «في حياتي المهنية كمعلم كان وجهي ملتصقاً في الصورة، وكنت أجري مسرعاً خلف المنهاج والأهداف، وأنا أحمل مشاكل عدة؛ أشتكي من الصفوف المكتظة، والرواتب المتواضعة، والتعليمات المقيدة . . . و . . . و . . . عملت بجد محاولاً تغيير الواقع»، وحينما عمل على تجربة تعليمية جديدة، قال: «حلقت بي الفكرة عالياً لأنظر من بعيد لنفسي وطلابي ودوري كمعلم، لأكتشف بأني كنتُ أجري، وأجرُّ من خلفي أطفالاً لأعلمهم القراءة والكتابة. لن أركض بعد اليوم، بل يجب عليَّ أن أقف وألتفت إلى أطفالي، وأن آخذ بيدهم، أن أنظر في عيونهم، أن أساعدهم في تطوير أفكارهم، وبناء أنفسهم، والتعلم عن إنسانيتهم، وإعدادهم لمواجهة الحياة . . . دون أن أغفل تعليمهم القراءة والكتابة؛ فثمة ما هو أهم في الحياة من أن يعرب الطالب جملة».

***

في هذا المؤتمر تجارب خطها معلمون ومعلمات وتربويون وتربويات من أمكنة مختلفة ومواقع مختلفة، هنا في هذا الملتقى لم تعد الناصرة بعيدة عن الخليل، ولا جنين بعيدة عن عكا، في هذا المؤتمر معلمون ومعلمات، ومن قطاعات متنوعة، ومن حقول معرفية متنوعة، ومن خبرات مختلفة . . . وهذا ما سنعمل على البناء عليه وتطويره، وتحقيق التغيير، إنها خطوة في دروب كثيرة . . . تحتاج إلى دأب النمل، وسرعة النسر، وتحديق الصقر، معاً. يقول المعلم: «عملية فتح العينين قد تستغرق العمر كله، أما الرؤية بهما فهي كلمح البصر»، ولن يكون التغيير ممكناً إذا ظننا بأننا يمكن أن نضع على الجميع عباءة واحدة، أو أن نعبر به في خط إنتاج واحد، فكل تجربة هي تجربة خاصة ومختلفة . . . ولن نحاول أن نغير العالم، بل ينبغي أن نغير فيما نستطع تغييره ونحن في أمكنتنا.

قال المعلم لتلميذ كان يتشكى كثيراً من كلام الآخرين:
– «إذا كنت تنشد سلاماً، حاول أن تغير نفسك وليس الآخرين؛ فمن الأسهل أن تقي رجليك بحذاء، من أن تفرش الدنيا كلها بالسجاد».

***

ولكي يكون الأمر ممكناً، ينبغي علينا أن نرى الغنى في كل تجربة؛ سواء تلك التي سنراها اليوم وغداً أو تلك التي هي في كل مكان، فكل تجربة إنسانية تعليمية تعلمية هي تجربة غنية، ويمكن أن تكون ملهمة. نحن نستطيع أن نتلمس الغنى، ولكننا قد لا نراه كما ينبغي أن نراه وكما هو في حقيقة الأمر في موقعه؛ يقول النفّري: «لن تراني، حتى تراني أفعل». ولكي أفعل ينبغي أن أتأمل فعلي وأراه وأحاوره، وأنتج منه حكمَته:

«طلب تلميذ إلى المعلم كلمة حكمة. فقال له:
«اجلس في صومعتك وهي تعلمك الحكمة».
«ولكن لا صومعة لدي، فأنا لست ناسكاً».
«بالطبع لديك صومعة، هلا نظرت في داخلك؟».

***

شكر للمعلمين والمعلمات
شكر لجميع العاملين في المركز
شكر لجميع المتطوعين
شكر لوزارة التربية والتعليم
شكر وتقدير للأستاذ محمد أبو زيد، وكيل وزارة التربية والتعليم العالي – فلسطين

في تقديم السيد الوكيل

قبل أشهر، قرأت مقابلة في صحيفة «الأيام»، وكانت مقابلة ملهمة، تحلل الأمور وتحاول أن تضعها في سياقها، مفعمة بالنقد ومفعمة بالتشجيع أيضاً . . . وعلى غير العادة فهي قادمة من موقع رسمي، إنه موقع وكيل الوزارة، اسمحوا لي أن أدعو إلى المنصة الأستاذ محمد أبو زيد وكيل وزارة التربية والتعليم العالي ليقدم كلمة افتتاحية.

الهوامش

المقولات الحكمية الواردة في الكلمة مستلة من كتاب: دي ميلو، أنطوني (2004). دقيقة حكمة، ترجمة وتحقيق: رفعت بدر، لبنان: المكتبة البولسية.